مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

محمد لخضر عمارة "حمة لخضر"

1955 - 1930

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

محمد لخضر عمارة "حمة لخضر"

1955 - 1930

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-32-4
الإيداع القانوني : 2009-5851

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

تَوجّه التّلميذُ أنيسٌ ورفَاقُهُ إلَى مُتْحَف الْمُجَاهد حَيْثُ يُقَام الاحْتفَالُ بذكْرَى مَعْرَكَة (هُودْ شَيكَةَ) الَّتِي كَانَ بَطَلَهَا الْمُجَاهدُ (حمّة لَخْضَرْ).

وَحينَ قَرُبَ مَوْعدُ الْحَفْل، وَفَدَ النَّاسُ منْ كُلِّ صَوْب للاسْتمَاع إلَى المحاضَرَة الَّتِي سَيُلْقيهَا أحَدُ رفَاق الشَّهيد، عَنْ إحْدَى المَعَارك الَّتِي شَارَكَ فِيهَا بِقِيَادَة (حمّة لَخْضَرْ).

وَقَبْلَ إحَالَة الْكَلمَة إلَى الْمُجَاهد الضّيْف قَدَّمَ مُديرُ الْمُتْحَف نُبْذَةً مُخْتَصَرَةً عَنِ الشَّهيد، فَقَالَ:

وُلِدَ مُحَمَّدُ لَخْضَرْ عْمَارَةَ بِقَرْيَة "الْجَدِيدَة"

بِبَلَدِيَّةِ سِيدِي عَــوْنْ دَائِــرَةِ الدَّبِيلَــةِ وِلاَيَةِ الْوَادِي حَالِيًا، فِي عَـامِ 1930. نَشَـأَ فِـي أُسْرَةٍ رِيفِـيَّةٍ مُحَافِظَةٍ، تَحْتَرِمُ الْعِلْمَ، وَتُمَجِّدُ الْمَعْرِفَةَ.

وَلَـمَّا اشْتَـدَّ عُـودُهُ أَلْحَقَهُ أَبُـوهُ بِـالْكُتَّابِ لِيَـتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ، وَيَـحْفَظَ أَجْزَاءً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَلَمَّا بَلَغَ السَّنَةَ الْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمُرِ دَخَلَ مُعْتَرَكَ الْحَيَاةِ، فَمَارَسَ تِجَارَةَ الأَسْلِحَةِ، وَخِلاَلَ هَذَا النَّشَاطِ تَعَرَّفَ عَلَى الْعَدِيدِ مِنْ رِجَالِ السِّيَاسَةِ وَالإِصْلاَحِ.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُخْتَصَرَةِ، تَدَخَّلَ الضَّيْفُ الَّذِي كَانَ ضِمْنَ الدَّوْرِيَّةِ الَّتِي قَادَهَا حَمَّهْ لَخْضَرْ إِلَى الصَّحْرَاءِ؛ فَبَدَأَ حَدِيثَهُ بِتَقْدِيمِ التَّحِيَّةِ إِلَى الْحَاضِرِينَ؛ ثُمَّ قَالَ:

اعْذِرُونِي إِنْ أَنَا لَمْ أَتَذَكَّرْ كُلَّ الأَحْدَاثِ الَّتِي عَايَشَهَا حَمَّهْ لَخْضَرْ وَالإِنْجَازَاتِ الْبُطُولِيَّةَ الَّتِي حَقَّقَهَا، لِذَلِكَ سَأُحَدِّثُكُمْ فَقَطْ عَنْ بَعْضِ جَوَانِبِهَا. وَلْنَبْدَأْ مِنَ الْبِدَايَةِ.

كَانَ الجوّ شَدِيد الحَرَارَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ أَيّامِ شَهْرِ جُويلْيَة 1955، حِينَ وَقَفَ الْقَائِدُ شِيهَانِي بَشِير (بِأَمّ الكَمَاكِمْ) بِالْجَبَلِ الأَبْيَضِ؛ حَيْثُ تَجَمَّعَتْ مَجْمُوعَاتُ جَيْشِ التّحْرِيرِ الْوَطَنِيِّ حَوْلَهُ.

قَالَ القَائِد:

إِنّ الْهَدَفَ مِنْ تَجَمُّعِنَا هَذَا هُوَ الإِعْدَادُ لِلْقِيَامِ بِعَمَلِيَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، فَرَدّ عَلَيْهِ الْمُجَاهِدُونَ: أَرْوَاحُنَا فِدَاءٌ لِلْوَطَنِ أَيُّهَا القَائِدُ، نَحْنُ مُسْتَعِدُّونَ لِذَلِكَ.

ردّ القَائدُ: إنَّ مَهَمّتَنَا صَعْبَةٌ في هَذَا الصَّيْف الْحَارِّ، وَتَزْدَادُ صُعُوبَةً حينَمَا تَكُون في عُمْقِ الصَّحْرَاء وَبالضّبْطِ في وَادي سُوف. لذَلكَ أطْلُبُ ممَّنْ يَرْغَبُونَ في التَّطَوُّعِ وَالذَّهَابَ إلَى هَذه الَمنْطَقَة أنْ يَرْفَعُوا أيْديَهُمْ، وَاعْلَمُوا أنَّ هَذه الْمنْطَقَةَ رَمْليَّة جَرْدَاءُ تَتَطَلَّبُ الْحَذَرَ وَالفِطْنَةَ.

وَبَعْدَ أنْ أنْهَى القَائدُ كَلاَمَهُ، رَفَعَ الْحَاضرُونَ جَميعًا أيْديَهُمْ، وكَانَ أوّلَهُمْ الْمُجَاهدُ "عْمَارَة مُحَمَّدْ الأخْضَر" الْمَدْعُو "حمّة لَخْضَرْ".

نَظَرَ الْقَائدُ في وُجُوه الْمُتَطَوِّعين، ثُمَّ ركّزَ نَظَرَهُ عَلَى "حَمّة لَخْضَرْ" قَائلاً:

أنْتَ تَتَولَّى مَسْؤُوليَّةَ هَذه الدّوْريَّة،

وَيُسَاعِدُكَ بَعْضُ الحَاضِرِينَ فِي مَهَمَّتِكَ، فَسِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ إِلَى هَدَفِكُمْ مُوَفَّقِينَ.

تَسَاءَلَ أَحَدُ الْمُجَاهِدِينَ: لِمَاذَا اخْتَارَ الْقَائِدُ "شِيهَانِي" الْمُجَاهِدَ "حِمَّة لخضر" بِالذَّاتِ لِقِيَادَةِ هَذِهِ الدَّوْرِيَّةِ؟

أَجَابَهُ أَحَدُ مُسَاعِدِي قَائِدِ الدَّوْرِيَّةِ: لأَنَّ المجاهدَ "حِمَّة لَخْضَرَ" يَعْرِفُ أَسْرَارَ وَخَبَايَا الصَّحْرَاءِ جَيِّداً، فَهُوَ مِنْ قَرْيَةِ "الْجَدِيدَةِ" بِمِنْطَقَةِ وَادِي سُوفْ، وَمِنْ عَائِلَةٍ تَعْرِفُ الصَّحْرَاءَ شِبْرًا شِبْرًا فِي رِحْلاَتِ الْبَحْثِ عَنِ الْكَلأِ وَالْمَاءِ. كَمَا سَبَقَ لَهُ أَنْ تَجَوَّلَ فِي الْمِنْطَقَةِ؛ فَقَدْ حَضَّرَ وَهَيَّأَ وَشَارَكَ فِي مَعْرَكَةِ (حَاسِي خَلِيفَةَ)، وَقَادَ مَعْرَكَةَ (صحْن الرّتْمْ) وَانْتَصَرَ فِيهَا عَلَى الْعَدُوِّ رَغْمَ الْعَدَدِ الْقَلِيلِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ خَاضُوا مَعَهُ الْمَعْرَكَةَ،

وَلَيْسَتْ بِحَوْزَتِهِمْ سِوى أَسْلِحَةٍ قَدِيمَةٍ.

ثُمَّ أَضَافَ الْمُتَحَدِّثُ قَائِلاً: وَمِنْ صِفَاتِ هَذَا الْقَائِد أَنَّهُ كَانَ يَعْطِفُ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ وَيُبْدِي اَهْتِمَامَه بِظُرُوفِهِمْ، فَكَان شَدِيدَ الْخَوْفِ عَلَيْهِمْ، كَثِيرَ الْحَذَرِ مِنْ مُفَاجَآتِ الْعَدُوِّ. وَمِنَ الْمِيزَاتِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَمْتَازُ بِهَا، أَنَّهُ شُجَاعٌ وَحَكِيمٌ فِي الْوَقْتِ ذَاتِه، لاَ يَضْعُفُ وَلاَ يَلِينُ حِينَ يُوَاجِهُ الصِّعَابَ، وَكَانَ يُشْرِكُ دَائِمًا غَيْرَهُ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارِ وَالتَّخْطِيطِ لِلْمَعَارِك. هَذِه هِي الأَسْبَابُ الَّتِي جَعَلَتِ الْقَائِدَ شِيهَانِي يَخْتَارُ الْمُجَاهِدَ حَمَّةَ لَخْضَرْ لِقِيَادَةِ الدَّوْرِيَّةِ.

تَوَقَّفَ الضَّيفُ الْمُتَحَدِّثُ قَلِيلاً لِيَسْتَرِدَّ أَنْفَاسَهُ وَارْتَشَفَ قَلِيلاً مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْحَاضِرِينَ قَائِلاً:

بَعْدَ الاجْتِمَاعِ الَّذي أشْرَفَ عَلَيْه الْقَائدُ شيهَاني تَوَجَهَّت الدَّوْريَّةُ الْمُشَكَّلَةُ بقيَادَة حمَّة لَخْضَرْ إلَى الْمَكَانِ الْمُحَدَّدِ لَهَا، وَاصِفًا مَهَمَّتَها بِالْقَوْلِ:

وَصَلْنَا منْطَقَةَ "وَادي سُوفْ" فَجْرَ يَوْمِ 05 أوْتْ 1955، وَانْتَشَرْنَا في مَوَاقِعَ مُمَيَّزَة، للْقيَام بالْمَهَمَّة. أمَّا الْقَائدُ "حمَّة لَخْضَرْ" فَقَدْ اخْتَارَ قَرْيَةَ "الْجَديدَة" كَمَرْكَزٍ للقَاء الْجَميع، وَلاَ يُوجَدُ أفْضَلُ منْ بَسَاتِينِ النَّخيلِ للاخْتبَاء وَالتَّخَفِّي.

الْتَقَيْنَا جَميعًا في "الْجَديدَة" بَعْدَ جَمْعِ كَمِّيَّة كَبيرَة منَ الأسْلحَة وَالذَّخيرَة منْ أبْنَاء الشَّعْبِ، وَتَجْنيد عَدَدٍ منَ الْمُوَاطنينَ.

وَفي يَوْم 07 أوتْ 1955، قَدمَتْ قَافلَةٌ لِلْعَدُوِّ مُشَكَّلَةٌ منْ عدَّة شَاحنَاتٍ، وَعنْدَمَا

اقْتَرَبتْ منْ مَكَانِ تَوَاجُدنَا، وَقَفَ الْقَائِدُ "حمّة لَخْضَر" -الَّذِي قَرَّرَ مُهَاجَمَتَهَا- قَائِلاً: اسْتَعِدُّوا لِلْهُجُومِ.

لاَ تَتْرُكُوا لَهُمُ الْفُرْصَةَ، قَاتِلُوهُمْ بِكُلِّ قُوَاكُمْ، وَلاَ تَتْرُكُوا مِنْهُمْ مَنْ يَرُدُّ خَبَرَهُمْ.

وَمَا هِي إلاَّ لَحَظَاتٌ، حَتَّى بَدَأت الْمَعْرَكَةُ وَاشْتَدّ الْقِتَالُ وَأَبْدَى الْمُجَاهِدُونَ صُمُوداً مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ. وَعِنْدَ انْتِهَائِهَا، فَرَّ الْبَاقُونَ مِنَ الأَحْيَاءِ تَارِكِينَ وَرَاءَهُمْ أَسْلِحَتَهُمْ.

وَعِنْدَمَا كَانَ الْقَائِدُ "حمّة لَخْضَرْ" يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَنَا وَيَطْمَئِنُّ عَلَى سَلاَمَتِنَا وَاحِداً تِلْوَ الآخَرِ، وَيَشْكُرُنَا عَلَى مَا بَذَلْنَاهُ مِنْ جُهْدٍ، وَيُهَنِّئُ الْجُنُودَ بِالنَّصْرِ الَّذِي حَقَّقُوهُ، صَاحَ أَحَدُ الْمُجَاهِدِينَ:

هَا هِيَ ذِي مَجْمُوعَةٌ أُخْرَى مِنْ عَسَاكِرِ الْعَدُوِّ تَقْفُو آثَارَ دَوْرِيَّتِنَا وَهِيَ قَادِمَةٌ مِنْ بَلْدَةِ الرَّقِيبَةِ.

أَخَذَ الْقَائِدُ مِنْظَارَ الْمَيْدَانِ لِيَتَأَكَّدَ بِنَفْسِهِ، وَقَالَ:

نَحْنُ فِي انْتِظَارِهِمْ. ثُمَّ طَلَبَ مِنْ أَحَدِ مُسَاعِدِيهِ أَنْ يَأْخُذَ مَجْمُوعَتَهُ وَيُحَاصِرَهُمْ مِنَ الْخَلْفِ.

تَقَدَّمَتْ فِرْقَةُ الْعَدُوِّ نَحْوَ مِنْطَقَةِ (السَّبَاط)، وَبَعْدَ تَأَكُّد الْقَائِد مِنْ عَدَدِهَا وَعُدَّتِهَا، أَعْطَى إِشَارَةَ الْهُجُومِ وَالْقِتَال الَّذِي لَمْ يَدُم أَكْثَرَ مِنْ نِصْف سَاعَة، شُلّتْ إِثْرَهُ فِرْقَةُ الْعَدُوِّ، بَعد أَن قَتَلَ الْبَطَلُ "حمّة لخضر" قَائِدَهَا.

سَكَتَ الْمُجَاهِدُ الْمُتَحَدِّثُ الَّذِي اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ، ثُمَّ قَالَ:

اسْتُشْهِدَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ أَحَدُ الْمُقَاتِلِينَ الشُّجْعَانِ، وَرَأَيْتُ الْقَائِدَ "حَمَّة لَخْضَر" وَعَلاَمَاتُ الْحُزْنِ وَالأَسَى بَادِيَةٌ عَلَى وَجْهِهِ، الْمَمْزُوجَةُ بِالإِصْرَارِ وَالْعَزْمِ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْجِهَادِ. فَيَالَهُ مِنْ رَجُلٍ جَمَعَ فِي صَدْرِهِ بَيْنَ شَجَاعَةِ الْمُقَاتِلِينَ، وَمَشَاعِرِ الْحُبِّ وَرِقَّةِ الإِحْسَاسِ!.

اسْتَرْجَعَ الْمُجَاهِدُ الْمُتَحَدِّثُ أَنْفَاسَهُ قَلِيلاً، ثُمَّ أَرْدَفَ قَائِلاً:

وَبَعْدَ مَا تَأَكَّدْنَا أَنَّ الْمَعْرَكَةَ الْكُبْرَى لَمْ تَبْدَأْ بَعْدُ، وَأَنَّ الأَمْرَ يَتَطَلَّبُ الْكَثِيرَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالاسْتِعْدَادِ وَالتَّخْطِيطِ، أَشَارَ أَحَدُ

أعْضَاء الدَّوْرِيَّة، الَّذي كَانَ منْ مُجَاهدي الْمنْطَقَة بالانْتقَال إلَى مَوْقعٍ آخَرَ يَكُونُ مَنيعًا وَيَسْمَحُ بخَوض الْمَعْركَة بسُهُولَة، وَهُوَ هُودْ شيكَة (الهُود: الْمُنْخَفضْ منَ الأرْضِ) الّذي يَمْلكُهُ أحَدُ الْمُعَمِّرينَ.

ولَمَّا وَصَلْنَا إلَى هَذَا (الْهُود) في الْيَوْمِ الْمُوَالي، أيْ يَوْم 08 أوت 1955، كَانَ الحرّ شَديداً يَلْفَحُ الْوُجُوهَ، وَالْحَاجَةُ إلَى المَاء أشَدَّ، لَكنَّ عَزيمَةَ الرِّجَال كَانَتْ أقْوَى منْ كُل الظّرُوف الصَّعْبَة. فَتَطَوَّعَ أهْلُ الْمنْطَقَة وَزَوَّدُونَا بالمَاء وَالْمَؤُونَة مُنْذُ وُصُولنَا.

وَبَعْدَ الاسْتقْرَار في (الْهُود) وَعَرْض الأسْلحَة الَّتي غَنمْنَاهَا منَ الْعَدُوِّ في الْمَعَارك السَّابقَة، وَقَفَ الْقَائدُ "حمّة لَخْضَر" ثُمَّ اقْتَرَبَ منِّي وَقَالَ لي:

مَجْمُوعَتُكَ سَتَتَجــهُ غَرْبًا لمُقَاتَلَة اللَّفيف الأجْنَبِيِّ الْقَادِمِ مِنْ مَدِينَة قَمَارْ، فِي حِينِ نَتَمَركَزُ نَحْنُ فِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ (الهُودِ) لِمُوَاجَهَةِ جُنُودِ الْعَدُوِّ.

وكَمَا تَوقَّعَ الْقَائدُ، تَوَارَدَتْ قُوَّاتُ الْعَدُوِّ مِنْ كُلِّ الْجِهَات بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ، وَانْطَلَقَتِ الْمَعْرَكَةُ وَسَطَ التَّكْبِيرَاتِ وَالْعِبَارَاتِ الْحَمَاسِيَّة. وَبَعْدَ الاشْتِبَاك وَسُقُوط الْعَدِيد مِنْ جُنُود الْمُحْتَلِّ، تَمَكَّنَّا مِنْ هَزِيمَتِهِمْ شَرَّ هَزِيمَة، مِمَّا جَعَلَ قَادَةَ الْعَدُوِّ يَسْتَنْجِدُونَ بِالطَّائِرَاتِ الَّتِي لَمْ تَحْسِمِ الْمَعْرَكَةَ لِصَالِحِهِمْ.

مَا أَجْمَلَ التَّارِيخَ! وَمَا أَرْوَعَ النَّصْرَ! وَمَا أَعْظَمَ صُنَّاعَهُ!.

رَفَعَ أنيسٌ يَدَهُ، لَكنّ الْمُنَشِّطَ لَمْ يَنْتَبِهْ إلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُجَاهِدُ الْمُتَحَدِّثُ:

ذَلكَ الْولَدُ في الأخير يُريدُ أنْ يَتَدَخَّلَ، فَهَؤُلاَء هُمْ ذُخْرُنَا وَعِمَادُ مُسْتَقْبَلِنَا، يَجِبُ أنْ نَسْتَمِعَ إلَيْهِمْ.

قَالَ أنيسٌ بَعْدَ أنْ أعْطِيَ الْكَلمَةَ: نَرْجُو عَدَمَ الإسْرَاعِ، فَأنَا وَزُمَلاَئِي نَرْغَبُ فِي تَدْوِينِ بَعْضِ الأحْدَاثِ

رَدَّ عَلَيْه الْمُنَشِّطُ، وَقَدْ تَوَجَّهَتْ كُلُّ الأنْظَارِ إلَى أَنيسٍ وَزُمَلاَئه: لاَ تَكْتُبُوا، فَنَحْنُ نُسَجِّلُ اللِّقَاءَ بالْكَامِيرَا كَمَا تُلاَحظُونَ، وَسَنُهْدِيكُمْ نُسْخَةً مِنَ الشَّرِيطِ بَعْدَ إعْدَادِه.

ثُمَّ قَالَ الْمُجَاهِدُ الْمُتَحَدِّثُ مُخَاطِبًا الْمُنَشِّطَ: ذَكِّرْنِي مِنْ فَضْلِكَ أيْنَ وَصَلْنَا،

فَالشَّيْخُوخَةُ نَالَتْ مِنْ ذَاكِرَتِي، وَبدَأ النِّسْيَانُ يُحَاصِرُنِي.

آ، تَذكَّرْتُ؛ بَقِينَا مُتَخَنْدقِينَ فِي (الْهُودْ)، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَدُوُّ الاقْتِرَابَ منَّا، وَمَنْ حَاوَلَ ذَلكَ منْهُمْ كَانَ مَصِيرَهُ الْمَوْتُ، مِمَّا اضْطَرَّهُ إِلَى تَشْدِيد الْحِرَاسَةِ وَالْحِصَارِ عَلَيْنَا دُونَ قِتَالٍ، طَوَالَ اللَّيْلِ.

وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الْمُوالِي، قُلْتُ للْقَائد "حمّة لخضر" كَيْفَ يُمْكِنُنَا الْخُرُوجُ مِنْ هَذَا الْحِصَارِ:

القائدُ:

نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى الْمُجَابَهَة فَالنَّصْرُ حَلِيفُنَا يا أَخِي، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ نَتَرَاجَعَ، فَإِمَّا النَّصْرُ أو الاسْتِشْهَادُ.

ثُمَّ أَضَافَ: يَجِبُ أَنْ نُفَكِّرَ فِي كَيْفِيَّةِ فَكِّ الْحِصَارِ، وَمُرَاوَغَةِ الْعَدُوِّ، لِإِرْسَالِ الْجَرْحَى إِلَى مَرْكَزِ الْقِيَادَةِ. وَلْنَخْتَرْ مَكَانًا حَصِينًا لِمُوَاصَلَةِ الْقِتَالِ حَتَّى النَّصْرِ.

سَكَتَ الْقَائِدُ، وَعَمَّ الْهُدُوءُ الْمَكَانَ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ، وَاصَلَ كَلاَمَهُ الموجَّهَ إِلَيَّ قَائِلاً:

بَدْلاَتُ جُنُودِ الْعَدُوِّ... بَدْلاَتُ جُنُودِ الْعَدُوِّ، نَلْبَسُ زِيَّهُمْ الْعَسْكَرِيَّ، وَنَتَسَلَّلُ بَيْنَهُمْ، وَسَوْفَ أَكُونُ فِي مُقَدِّمَتِكُمْ وَأَفْتَحُ لَكُمْ الْطَّرِيقَ، مَهْمَا كَلَّفَنِي ذَلِكَ؛ فَلاَ تَخَافُوا مِنْ عَدَدِهِمْ، وَلاَ يُرهِبْكُمْ عَتَادُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَخَافُونَ الْمَوتَ، وَنَحْنُ نَطْلُبُهُ!.

سَكَتَ الْمُجَاهِدُ الْمُتَحَدِّثُ قَليلاً، ليُجَفِّفَ جَبِينَهُ ثُمَّ وَاصَلَ حَدِيثَهُ: إنَّهُ فعْلاً رَجُلٌ نَادرُ المِثَال؛ كَانَ عَطُوفًا عَلَيْنَا كَعَطْف الأَب عَلَى أَبْنَائه، لاَ يَرْتَاحُ إذَا تَعبْنَا وَلاَ يَنَامُ قَبْلَ أنْ يَتَفَقَّدَنَا، وَلاَ يَأكُلُ إلاّ إذَا أكَلْنَا، وَلاَ يَشْرَبُ إلاّ إذَا شَرِبْنَا، وَلاَ يُطَبّق تَخْطِيطًا لَمْ يُشَارِكْنَا فيه؛ كَانَ يَجْمَعُ فِي صَدْرِهِ بَيْنَ القَسْوَةِ مَعَ العَدُوِّ وَالرَّحْمَةِ مَعَ الرَّفِيقِ.

أَقُولُ: وَمَا إنْ حَلّ الْمَسَاءُ حَتَّى خَرَجْنَا منْ (هوُدْ شيكة) مُتَّجهينَ نَحْو (الضَّاية)، وَعنْدَمَا وَصَلْنَا (هُودْ غَزَالَة) جَمَعْنَا بَيْنَ صَلاَتَي المَغْرب وَالعشَاء، ثُمَّ تَنَاوَلْنَا مَا تَيَسَّرَ منَ الطَّعَام وَقَضَيْنَا لَيْلَتَنَا فِي (الضَّايَة) فِي بَيْتِ أَحَدِ الوَطَنِيِّينَ الْمُخْلِصِينَ.

لَكِنَّ العَدُوَّ اكْتَشَفَ وُجُودَنَا هُنَاكَ بِسَبَبِ وِشَايَةٍ.

وكَانَ القَائدُ "حمّة لَخْضَر" مُتَيَقِّنًا أنّ قُوَّات العَدُوِّ -رَغْمَ هَزِيمَتِهَا وَمَا لَحقَ بِهَا منْ خَسَائرَ فَادحَة في مَعَارك اليَوْمَيْنِ السَّابقَيْنِ- لَنْ تَتَخَلَّى عَنْ سَاحَة المَعْركَة، وَلَوْ كَلَّفَهَا ذَلكَ المَزيدَ منَ الخَسَائر، وَتَوَقَّعَ أنْ تَقُومَ بِمُغَامَرَةٍ تُحْرَقُ فيهَا الأخْضَرَ وَاليَابسَ، بِاسْتِعْمَالِ الطَّائِرَاتِ وكُلِّ عَتَادِهَا الجَهَنَّمِي.

وَلهَذَا لَمْ يَتَوَقَّف القَائدُ عَن التّشَاوُرِ مَعَنَا، وَالاسْتعْدَاد لأيِّ طَارئٍ، وَالتَّخْطيطِ لمَا هُوَ قَادمٌ، برُوحِ المُقَاتلِ المُنْتَصر، وَالمُجَاهد البَاسلِ الَّذي لاَ يَخَافُ المَصَائبَ وَلاَ يَهَابُ الأَهْوَالَ.

وَفي (الضّاية)، انْضَمَّ إلَيْنَا بَعْدَ صَلاَةَ الصُّبْحِ مُبَاشَرَةً بَعْضُ الْمُجَاهدِينَ الجُدُد منْ (هُودْ غَزَالَة). وَمَا إنْ طَلَعَتْ شَمْسُ ذَلكَ اليَوْمِ، الْمُصَادف للْعَاشر منْ شَهْر أوَت سنة 1955، حَتَّى حَلَّقَتْ طَائرَاتُ العَدُوِّ في السّمَاء، وَأظنّ أنَّهَا كَانَتْ إحْدَى عَشْرَةَ طَائرَةً؛ وَاشْتَدَّ القِتَالُ بَيْنَنَا، فَأسْقَطْنَا إحْدَى الطَّائرَات.

سَكَتَ الْمُجَاهدُ الْمُتَحَدِّثُ قَليلاً ثُمَّ تَنَهّدَ، والْتَفَتَ إلَى الحَاضرِينَ:

مَاذَا أقُول لَكُمْ؟ لَقَدْ قُمْنَا بوَاجبنَا حَتَّى النِّهَايَة، وَلَمْ نَتْرُك العَدُوَّ يُحَقِّقُ مُرَادَهُ بالقَبْض عَلَيْنَا أحْيَاءً. قَاتَلْنَا تَحْتَ سَمَاءٍ تُمْطرُنَا بالقَنَابل، وَدَامَت المَعْركَةُ حَتَّى الزَّوَال منْ ذَلكَ اليَوْمِ، حَيْثُ فَازَ الجَميعُ بِالشَّهَادَة

مَا عَدَا الْمُتَحَدِّثَ الَّذِي يَقِفُ أَمَامَكُمْ.

صَمَتَ مِنْ جَدِيد، ثُمَّ تَنَهَّدَ وَقَالَ بِصَوْتٍ أَجشّ:" لَقَدْ اسْتُشْهِدَ البَطَلُ .. اسْتُشْهِدَ البَطَلُ، وَالأَبْطَالُ لاَ يَمُوتُونَ". ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيم: «**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِين قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**» صدق اللّه العظيم.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ (1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ